

الإِسْلَامُ يَمْحُو الذُّنُوبَ وَالْآثَامَ

وإذا عرفنا ذلك، عَرَفْنَا كَثْرَةَ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ؛ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ جَاءَتِ الْأَدْلَةُ فِي أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَيُكَفِّرُ السَّيِّئَاتِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لِمَن كَانَ أَهْلًا، وَلِمَن كَانَ مُسْتَحِقًّا لِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } يعني: لمن تاب، أنه يغفر الذنوب جميعًا، فلا تقنطوا من رحمة الله، وذلك لأن قوما كانوا قد عملوا في الجاهلية كفرًا وفسوقًا ومعاصي كبيرة، فقالوا: كيف ندخل في الإسلام ونحن قد فعلنا وفعلنا؟! فأخبرهم الرب تعالى بأنهم إذا أسلموا فإن الله يقبل منهم، ويمحو عنهم ما كانوا قد عملوه من السيئات، ولما جاء عمرو بن العاص لِيُسَلِّمَ قَالَ: إني أريد أن أشتري، فقال: { ماذا تشتترط؟ قال: أن يمحو عني ما كنت عملته من السيئات، فقال صلى الله عليه وسلم: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا، وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا؟! } يَعْنِي أَنَّ الْإِسْلَامَ إِذَا كَانَ صَاحِحًا - إِذَا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ الصَّاحِحِ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْحُو عَنْهُ مَا كَانَ قَدْ عَمِلَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي. وَكَذَلِكَ كَانَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا سَمِعُوا الْوَعِيدَ عَلَى بَعْضِ الْمَعَاصِي تَوَقَّفُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ أَشْرَكْنَا، وَقَدْ رَبَّبْنَا، وَقَدْ قَتَلْنَا، وَقَدْ عَصَيْنَا! فَأَنْزَلَ إِلَهُ تَعَالَى: { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلْدُ فِيهِ مَهَاتًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، يَعْنِي: يُؤَفِّقُهُمْ لِأَن يَعْمَلُوا بِدَلِ السَّيِّئَاتِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا حَسَنَاتٍ تَمْحُو تِلْكَ السَّيِّئَاتِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُكْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ } فَإِذَا تَابَ الْعَبْدُ { وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } يَعْنِي: يَمْحُو السَّيِّئَاتِ وَيُؤَفِّقُهُمْ لِأَن يَعْمَلُوا عَمَلًا صَالِحًا. فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مَحَا اللَّهُ عَنْهُ مَا كَانَ قَدْ عَمِلَهُ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ أَنْ يَتُوبَ تَوْبَةً صَادِقَةً، وَأَنْ يَتْرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ، وَعَمَلَ السَّيِّئَاتِ وَنَحْوَهَا، وَنَعْرِفَ أَنَّ السَّيِّئَاتِ إِذَا تَهَاوَنَ بِهَا الْعَبْدُ فَقَدْ يُعَاقَبُ عَلَيْهَا، وَأَنَّ الْحَسَنَاتِ إِذَا أَكْثَرَ مِنْهَا الْإِنْسَانُ وَوَفَّقَهُ اللَّهُ، فَقَدْ يَثَابُ عَلَيْهَا، يَثَابُ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.